بين صلاح الدين وحكومة اليمين

في صلاح الدين تشكلت حكومة نتنياهو واليمين

في حالة يمكن وصفها بانه " انقلاب للسحر على الساحر" أو حالة أصبحت " طقساً يتكرر وحالة متداولة ومعتادة " تحول بنيامين نتنياهو الذي وصل قاعة المحكمة المركزية في القدس لبدء محاكمته في لوائح الاتهام الثلاث التي قدمتها النيابة العامة بحقه، من خاسر كبير الى الرابح الأكبر.. رئيس وزراء دخل قاعة المحكمة متهماً بتهم خطيرة تطلب منه المحكمة الرد عليها لكنه بدلاً من الرد باسمه او مجادلة المحكمة ومقارعة مندوبي النيابة فيها اكتفى بالقول انه يؤكد رد محامي الدفاع عنه الذين رفضوا التهم جملة وتفصيلاً ليضيف بعدها عبارات الشكر للقضاة ويغادر قاعة المحكمة عائداً الى مكتبه وديوانه في القدس لجلسة عمل مع وزير الصحة تأجلت قليلاً لوجوده في المحكمة وكأن لسان حاله يردد بحدة وشدة متزايدة ما عكسته تعابير وجهه حال وصوله المحكمة من تعالٍ واشمئزاز وكانه يقول أن إصرار القضاة والنيابة على إجراء هذه الجلسة الإجرائية اضطره الى وقف حربه المتواصلة والهامة بل الأهم في نظره ،ضد الكورونا... .

جلسة المحكمة هذه وما رافقها وتخللها وما تلاها كانت حالة ومرة أخرى اتضح ان نتنياهو السياسي المحنك وخبير الاعلام المتفوق يقف امام وضع هو فيه الرابح الوحيد او الرابح في كافة الأحوال او ما يسمى في علوم التسويق "Win Win" فالجلسة جاءت بعد أيام طالب فيها مؤيدو نتنياهو تأجيلها بحجة أن مواجهة ومكافحة الكورونا هو المهمة الأولى لكل من يتحلى بالمسؤولية القومية والوطنية وان المحكمة أمكن تأجيلها وانها تعيق نشاطات رئيس الوزراء في الشأن سابق الذكر، وما عودته من المحكمة الى لقاء وزير الصحة يولي ادلشتين واهتمامه بنشر صور اللقاء، الا اشارة واضحة الى ان جلسات المحكمة أوقفت الحرب ضد الكورونا ومست بصحة المواطنين فكم بالحري اذا تكرر هذا المشهد.

نتنياهو هو الرابح الوحيد في هذه القضية وفي هذا التوقيت، فهو كذلك لو تواصلت الجلسات ورفض القضاة طلب محاميه تأجيل الجلسات وعندها سيدعي ان المحكمة تمنعه من مواصلة حربه ضد الكورونا ومن اجل الحصول على اعداد غير محدودة من التطعيمات، وهو الرابح لو قبلت المحكمة التأجيل ليعتبر هذا القرار حينها بانه اعتراف بان المحاكمة وبنود لائحة الاتهام ومطالبة خصومه السياسيين له بالتنحي ليس لها ما يبررها او يحولها الى قضية حياة او موت، او قضية مبدئية واخلاقية بل يجعلها ملاحقة سياسية.

نتنياهو إضافة الى ذلك هو الرابح من كل ما يحدث تماماً كما كان الرابح الوحيد في ما تلى الانتخابات الاخيرة وأقصد ضم "ازرق ابيض" الى الحكومة ما انتهى الى نهاية هذا الحزب وبالتالي خلق وضع ليس للمركز واليسار "بضاعة يبيعونها" او منافسة يشكلونها في الانتخابات القريبة التي ستفرز حكومة يمين او ..حكومة يمين، وهو الرابح من انشقاق القائمة المشتركة سواء حصل على أصوات العرب الذين " تدفقت محبته اليهم مؤخراً " ام لا، فهو يدرك ان انشقاق الموحدة وخلافاتها التي ذكاها هو نتيجتها واحدة من اثنتين فإما انخفاض قوتها لتصبح أضعف من ان تكون بيضة القبان في تشكيل الحكومة القادمة او حتى التوصية على مرشح لتشكيلها امام رئيس الدولة وإما ان لا يعبر احد مركباتها وتحديداً الموحدة نسبة الحسم ليتقلص التمثيل العربي وإن عبرت الموحدة نسبة الحسم فحبال الود منصوبة معها ، وهو الرابح من اتحاد كتل اليمين برئاسة بتسلئيل سموتريتش وبن غفير تلميذ كاهانا ما يضمن عدم هدر الأصوات من جهة ومساعدة حزب يميني يعتبر المركز واليسار خطراً داهماً على اجتياز نسبة الحسم مع كامل الثقة انه لن يرضى حتى بجدعون ساعر او نفتالي بينيت العدو اللدود مرشحاً لرئاسة الحكومة ، ونتنياهو هو الرابح الأكبر حتى من مجرد مثوله امام المحكمة في موجات بث مفتوحة قامت بها كافة محطات التلفزة ومواقع الانترنت في البلاد وحتى العالم، موجات منحت نتنياهو "فسحة او إجازة" من البت الإعلامي والانتقادات اللاذعة لفشله في مواجهة الكورونا والمسؤولية عن اكثر من 5100 قتيل او ضحية وأزمة اقتصادية خانقة وقاتلة اسفرت عن اغلاق مئات آلاف المصالح التجارية الصغيرة والمتوسطة مئات آلاف العاطلين عن العمل والجياع والفقراء ومكسوري الجناح نفسياً وذهنياً ، واستبدالها بحديث ونقاش حامي الوطيس حول موعد جلسات المحكمة والمسؤولية التي تحلى بها رئيس الوزراء الذي دعا مؤيديه الى عدم الحضور الى المحكمة منعاً، لا سمح الله، لانتشار المرض اذا تجمهروا امام المحكمة مقابل " فوضويين لا تهمهم صحة الناس اصروا على التجمهر والتظاهر امام المحكمة "، وحديث عن ملاحقة لليمين ومندوبيه...نتنياهو الرابح الأكبر ودائماً.

هكذا هو الحال ايضاً فهو الرابح اعلامياً وانتخابياً من الشأن النووي الإيراني وموقف إدارة بايدن منه، فعودة اميركا الى الاتفاق ستشكل لنتنياهو سبباً للادعاء ان ضغوطه على إدارة ترامب ومعارضته لإدارة أوباما كانت في محلها لمنع طهران من حيازة الأسلحة النووية وان إسرائيل فعلت كل ما بوسعها لمنع ايران من حيازة تلك الأسلحة وليس ذلك فقط بل منع طهران من التموضع في سوريا ونقل الأسلحة الى حزب الله والجماعات العسكرية المؤيدة لإيران في سوريا والعراق ومنها فيلق القدس او ما تبقى منه بعد اغتيال قاسم سليماني، وهو الرابح اذا ما امتنعت إدارة بادين عن العودة الى الاتفاق او حتى ان اشترطت عودتها وتخفيف العقوبات الاقتصادية والأخرى بإعلان طهران الالتزام بالاتفاق ووقف تخصيب اليورانيوم الى درجة خطيرة ووقف مشروع الصواريخ بعيدة المدى ليدعي ان مواقفه وحتى المناوئة لإدارة أوباما كانت صحيحة وإن لم تحقق كافة مبتغياتها، وهو الرابح في قضية التطعيمات والاغلاقات المتكررة فهو من أحضر ملايين التطعيمات ( وكان اول المتطعمين) اما "ازرق ابيض" فهو من افشل الإغلاقات لأسباب سياسية وكذلك ألأمر في قضية التطعيمات والسلطة الفلسطينية فرفضه منحها التطعيمات يجعله موضع اعجاب اليمين ورفضه منح غزة التطعيمات يعني انه لا يتنازل في قضية الأسرى والمفقودين في القطاع ، اما موافقته اذا ما حصلت فهي تسجل في سجل حسناته وإنسانيته الفائقة وموضوعيته التامة امام المواطنين العرب في البلاد وامام اليسار والجهاز القضائي .

امام حزب الله نتنياهو رابح دائماً فالردود عليه مهما تفاوتت تجعله الرابح الأكبر فضرب مواقعه وافراده في سوريا هو فوز وإنجاز واقتصار الرد على عملية مثل إطلاق النار على طائرة إسرائيلية بدون طيار قرب الحدود الشمالية على التحذير الشفوي فقط وتحذير مستقبلي بالويل والثبور وعظائم الأمور هو انجاز باعتباره يشكل حفاظاً على سلم الأولويات الذي يريده نتنياهو، أي ضرب التواجد الإيراني في سوريا وضرب مؤيدي إيران الذين يشكلون معها خطراً يضاف الى خطر امتلاك طهران قنبلة نووية ويؤكد ضرورة منعها، واذا ما أراد نتنياهو "توسيع نطاق الرد على عمل حزب الله هذا" هذا فهو الرابح ايضاً عبر ضرب حزب الله الذي يمس الاستقرار الإقليمي ويمس بأمن لبنان واستقراره السياسي والاقتصادي باسم ايران وخدمة لأهدافها وملخصها استعادة السيطرة الإيرانية الشيعية على الشرق الأوسط وضرب المعسكر السني المعتدل حليف إسرائيل وأميركا والمنخرط في اتفاقيات المصالحة والتطبيع مع نتنياهو سراً او علناً.

قرار محكمة الجنايات الدولية فتح تحقيق حول احتمال ارتكاب اسرائيل جرائم حرب تتعلق بالاستيطان والمظاهرات قرب السياج الحدودي مع غزة، يجعل نتنياهو الرابح ايضاً فاستمرار القرار او تنفيذه يؤكد ما قاله نتنياهو من ان المحكمة انما تتعمد العداء لإسرائيل وأنها تتسم باللاسامية كما قال سفير اسرائيل في الامم المتحدة غلعاد اردان وبالتالي على الحكومات الغربية الضغط عليها لمنعها من التحقيق وإلا سيتم وصم هذه الحكومات باللاسامية ايضاً ، اما اذا قرر المدعي العام الجديد في المحكمة خلفاً للقاضية فاتي بنسودا ارجاء التحقيق او وقفه فإن نتنياهو سيكون الرابح فهو من حذر من ان بنسودا مناوئة لإسرائيل وهو من أقنع إدارة ترامب بمنع قضاة المحكمة من دخول الأراضي الأمريكية.

هذا هو حال نتنياهو اليوم خاصة بعد بدء جلسات محاكمته علماً ان الاستطلاعات تشير الى ارتفاع شعبيته بعد كل جلسة للمحكمة بين مؤيديه الواضحين وأولئك المترددين انطلاقاً من ان اليمين يعرف كيف يلتف حول قادته خاصة اذا كانوا يجيدون لعبة " التظاهر بانهم الضحية " وان ملاحقتهم تتم لأسباب سياسية ولأنهم يريدون ضمان حقوق " إسرائيل الثانية أي الطوائف الشرقية والمتدينين" وصيانتها من خطر " الهيمنة الاشكنازية اليسارية والاستعلاء الأوروبي الابيض" بينما يجيد اليسار او ما تبقى منه او من انتحل هذه الصفة زوراً وتظاهراً منذ إقامة الدولة " القضاء على قياداته واستبدالهم بوتيرة لا تُبْقي ولا تَذَر".

نتنياهو الرابح دائماً ولذلك يبدو ان فوزه في الانتخابات بالحصول الى الرقم السحري 61 ، أصبح اقرب من أي وقت مضى وان إصرار الجهاز القضائي على موقفه واصراره على " ضرورة ان تأخذ العدالة مجراها في كل زمان ومكان" دون أي اعتبار للانتخابات انتهى الى منح نتنياهو سلاحاً حاداً خاصة وان مؤيديه يفهمون المحاكمة على انها محاولة سافرة للتدخل في المعركة الانتخابية وتجسيداً للانقلاب القضائي الذي حذر منه نتنياهو.

اذن وعلى شاكلة القول الشهير لثيودور هرتسل" في بازل تأسست دولة اليهود" يمكن لنتنياهو القول وبشكل أقرب الى اليقين " في صلاح الدين- مقر المحكمة المركزية- تأسست حكومة اليمين".